

خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٦/١٠/٢

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

يذكر حضرة المسيح الموعود عليه السلام فضل الله تعالى، ومعاملته إياه، ويذكر توكله على الله منذ نشأته وأوائل حياته، فيقول:

"قبل نحو ثلاثين عاما - حين مرض والدي رحمه الله في أواخر عمره - تلقيت ظهر اليوم الذي قُدرت فيه وفاته إلهاما: "والسما والطارق"، (وترجمته: أقسم بالسما وبالذي يظهر ليلا، يقول حضرته موضعا هذا الأمر:) وألقي في قلبي أنها إشارة إلى وفاته، ومعناه أقسم بالسما وأقسم بهذا الحادث الذي سيقع بعد غروب الشمس. وكان ذلك عزاء من الله تعالى لعبده.

عندها فهمت أن والدي سيُتوفى بعد غروب الشمس، وقد أخبر كثير من الناس بهذا الإلهام. ووالله الذي نفسي بيده - والذي لا يكذب عليه إلا الشيطان والملعون - أن هذا ما حدث بالضبط. والغريب في الأمر أن المرض الذي كان والدي مصابا به، أي ألم الكلية، كان قد زال تماما في ذلك الوقت، ولم يبق إلا قليل من الزحار، ولم يكن يؤدي إلى ضعف كثير.

وكان أبي يذهب إلى الخلاء وحده دون سند. فما إن عاد من بيت الخلاء بعد غروب الشمس وجلس على السرير حتى بدت عليه حالة النزاع أي حالة زهوق النفس وبدأ التنفس يتقطع. فنظر إلي في هذه الحالة من الاحتضار وقال لي: أرايت هذه الكيفية؟ ثم استلقى. ولم يسبق لي قبل هذا الحين أن رأيت شخصا يستطيع الكلام في حالة النزاع ويتحدث عند الاحتضار بكلام سليم وواضح. وبعدها انتقل من الدار الفانية بعد غروب الشمس بالضبط. فكان ذلك أول إلهام وأول نبوءة أظهرها الله تعالى علي؛ فقد أخبرني الله ظهرا أن هذا الأمر حادث ثم تحقق هذا الخبر بعد غروب الشمس. وذلك مدعاة لاعتزائي. وإن نسيئت فلن أنسى أن الله تعالى عزاني بوفاة والدي وأقسم بوفاة والدي كما أقسم بالسما. والذين تثور فيهم روح شيطانية سيستغربون ويقولون كيف يمكن أن يعظم الله أحدا فيقسم بوفاة والده معتبرا إياها

صدمة عظيمة. ولكني أقول مرة أخرى حالفا بالله ﷻ إن هذا الحدث حق، والله تعالى هو الذي قد أخبرني به على سبيل العزاء وقال: "والسما والطارق" ثم حدث كما قال".
يقول حضرته:

"لما أخبرت أن والدي سيُتوفى بعد غروب الشمس حزنتُ طبعاً بمقتضى البشرية إثر تلقي هذا الخبر. ولَمَّا كانت معظم أسباب معاشنا مرتبطة بحياته، فكان يتلقى معاش التقاعد من قبل الحكومة الإنجليزية وكذلك كان يأخذ مبلغاً كبيراً منحةً وكان كل ذلك مرتبطاً بحياته؛ (أي كان يتمتع من قبل الحكومة ببعض الحقوق طالما كان على قيد الحياة) فخطر ببالي عمّا عساه يحدث بعد وفاته، وقلقتُ ظناً مني أنه قد تحلّ بنا أيام ضيق ومعاناة. وخطر هذا الخاطر بالبال في أقل من ثانية كالبرق. ثم غلبني نغاس في الحال وتلقيت إلهاماً ثانياً: "أليس الله بكافٍ عبده". فتقوّى قلبي إثر هذا الإلهام الإلهي كأن جرحاً مؤلماً اندمل دفعة واحدة بتأثير مرهم. الحق أني جرّيت مراراً أن الوحي الإلهي يتسم بميزة ذاتية تُطمئن القلب، وأساس هذه الميزة هو اليقين القوي بالوحي. (أي أن حضرته كان على يقين تام بأن هذا الوحي كلام الله تعالى، أي إذا كان الله تعالى قال لي: أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ، أي أنا كافيك، فأنا على يقين بأنني لست بحاجة إلى أي شيء آخر، ولا داعي للقلق بشأن أي أمر، وتوكلي الآن على الله تعالى وحده. فيقول حضرته:) فباختصار، حين تلقيت إلهاماً: "أليس الله بكاف عبده"، تيقنت في الحال أن الله تعالى لن يضيعني. فكتبت هذا الإلهام في الحال وأعطيتُه هندوسياً من فئة "الكهشثري" -اسمه ملاوا مل ويسكن في قاديان ولا يزال على قيد الحياة- وقصصت له القصة كلها، وأرسلته إلى مدينة أمرتسر ليصنع منه خاتماً بحفره في فضّ الخاتم بمساعدة الحكيم المولوي محمد شريف الكلانوري. وكلّفت هذا الهندوسي بهذا العمل ليكون شاهداً على هذه النبوءة العظيمة وليكون المولوي محمد شريف أيضاً من الشاهدين.

فوصلني الخاتم جاهزاً ببذل خمس روبيات عن طريق المولوي المذكور وما زال بحوزتي. (وبفضل الله إنه لا يزال موجوداً)

لقد تلقيت هذا الإلهام في أيام كان معاشنا وأسباب راحتنا كلها تعتمد على دخل والدي الزهيد. ولم يكن أحد من الناس يعرفني، وكنت حامل الذكر منزوي في زاوية الخمول في قرية غير عامرة هي قاديان. ثم وجّه الله تعالى إليّ عالماً حسب نبوءته وأعانني بالمال بفتوحات متتالية لا أجد الكلمات لأداء شكرها. ما كنت أتوقع نظراً إلى حالتي أني سأجد حتى عشر روبيات شهرياً، ولكن الله الذي يرفع الفقراء من التراب ويجعل المتكبرين تراباً قد أخذ بيدي، فأستطيع أن أقول باليقين إنه قد جاءني إلى الآن ثلاثة مئة ألف روبية أو أكثر.

ويمكن تقدير هذا المدخول من أن ما يُنفَق على دار الضيافة منذ عدة أعوام يُقدَّر متوسطه بألف وخمس مئة روية شهريا. وزدَّ إلى ذلك أقسامًا أخرى تقتضي نفقات أخرى مثل المدرسة وطباعة الكتب. فانظروا، كيف تحققت نبوءة "أليس الله بكاف عبده" بعظمة وجلاء تام!".

كان غير الأحمديين أيضا يعترفون بتوكله على الله تعالى وثباته على الصدق. وفي هذا الصدد يروي الملك صلاح الدين أن شخصا بدأ بمعارضة حضرته في أحد المجالس، فقام المولوي فضل الدين -وهو محامٍ غير أحمدي وكان محاميا لحضرته في قضية محاولة القتل- وقال بحماس شديد: إنني معترف بالشخصية العظيمة للسيد مرزا وكماله الأخلاقي. لقد رأيت كبار الصالحين يغيرون أقوالهم بناءً على الاستشارات القانونية، لكنني لم أجد غير السيد مرزا الذي لم يزعج قدمه عن مقام الصدق. لقد اقترحتُ بيانًا قانونيًا في قضية مارتين كلارك، وقلتُ إن بيان المتهم لا يكون تحت القسم، فقرأ السيد مرزا البيان وقال: "إن في هذا كذبًا، ولم يأذن الله تعالى للمتهم أن يكذب". فقلتُ له: إنك توقع نفسك في الابتلاء عمدًا. فقال حضرة المرزا: "أن أُلقي بيدي إلى التهلكة عن عمد هو أن أدلي بإفادة قانونية لنيل منفعة غير مشروعة وأُسخط بذلك ربي، فهذا لن يتأتى مني مهما يكن من أمر". يقول هذا المحامي غير الأحمدي: في تلك الساعة كان على وجه مرزا المحترم جلالٌ خاص وحماس، فقد قال حضرته: "لم يخطر حتى على واهمتي قط أني سأستفيد من محاماتك، إن توكلني على الله الذي يرى قلبي، وإنما أتوكل عليه وهو عليم بكل شيء". (ثم قال حضرته) إن إفادتي ستكون أكثر تأثيرا من إفادتك القانونية، واعلم أن كلامي سيكون أشد تأثيرا من بيانك القانوني، لأنني قد توكلت على الله ﷻ. (ثم قال) إن لم تكن العاقبة حسنةً في نظر الدنيا على سبيل الافتراض، أي صدر الحكم علي، فسوف أفرح لأنني لم أعصِ ربي". ومن قدرة الله العجيبة أن حضرة المرزا بُرئ على إفادته هذه. (يتابع هذا المحامي كلامه فقال) إنني أعدُّ حضرته صادقا كاملا، وفي قلبي إجلال كبير له. فقد قال بوضوح إن المحاماة هي سبب مادي يجب استعماله، أما توكلني فعلى ربي وحده. لذا لا أستطيع أن أعصي أيًّا من أوامر الله. فقد قال بكل ثقة إن الحكم سيصدر لصالحه، وتأثر بذلك حتى غير الأحمدي.

يقول حضرة مفتي محمد صادق المحترم: قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"التحضر في رأي الناس في العصر الحاضر أن يصبح الإنسان دودة الدنيا، وينسى الله وينشغل في عبادة الأسباب الظاهرة. أما التحضر في نظر الله فهو أن يتوكل المرء على الله حقَّ التوكل وترسخ في قلبه عظمته وهيبته وينال القلب الطهارة الحقّة".

ثم ذكر مثالا لهذا التوكل والطهارة الحقّة، وقال إن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام قد عمل بذلك. عندما كان يأخذ البيعة من الناس كان ينصح المبايعين، وقد قال إحدى المرات، بل كان غالبا ما يقول هذا حصرا للأحمديين: "بعد الانضمام إلى هذه الجماعة يجب أن تُحدثوا تغييرا أولا في حياتكم، (أي يجب أن تتغيروا بحيث يجب أن يكون إيمانكم بالله صادقا) وتؤمنوا بأنه يخلص من كل مصيبة، ولا تستخفوا بأوامره، ولا

تستهينوا بها، بل يجب أن تعظّموا كل واحد من أوامره، وأثبتوا هذا التعظيم بعملكم. فما هذا الإثبات؟ هو أن تستجيبوا لأوامر الله. فأن ينكب المرء تماما على الأسباب، ويخضع لها، ويتكل عليها اتكالا تماما ويترك التوكل على الله، لمن الشرك وكأنه الإنكار لوجود الله". كان الشيخ ينصح بذلك كلّ مباح. فكان يقول: "ينبغي استخدام الوسائل لدرجة لا تؤدي إلى الشرك، إن مذهبي أني لا أمانع من استخدام الوسائل وإنما أمانع من الاتكال عليها، يجب أن يتحقق فيكم المثل القائل اليد في العمل والقلب مع الله". ثم يقول حضرته الشيخ: "إنكم لم تُنْهَوْا عن المداواة واتخاذ التدبير، وإنما تُهْتَمُّ عن الاتكال عليهما. لن يحدث إلا ما أراد الله عزّ وجلّ، ومن استطاع فليعلم أن مقام التوكل هو أفضل المقامات كلّها". (سفينة نوح) ثم قال حضرته: "إن الله ﷻ أودع الأدوية خواصّ الشفاء أيضًا، وقد ورد في الحديث أيضًا أن في الأدوية تأثيراتٍ وعلاجاتٍ للأمراض لكن الاتكال على هذه الأسباب والاعتماد أبداً على الأسباب، بل يجب اتخاذ الأسباب ثم التوكل على الله، أنه إذا أراد جعلها مفيدة ثم يجب أن يدعو ﷻ وحده، لأن ترتيب النتائج على الأسباب عمله وحده وهذا هو التوكل".

ثم ذكرت بعض الأمراض فقال الشيخ: "إن ما يكمن في قلبي من إيمان قوي بشفاء الأمراض بالدعاء لا أستطيع أن أبوح به كلّ. (أي الأفكار التي في قلبي بهذا الخصوص لا يسعني التعبير عنها)، الطبيب يتوقف عند مرحلة معينة ويقنط، (أي الدكتور المعالج يحاول ثم يتوقف عند نقطة معينة، وكثيرون اليوم أيضا يكتبون إلي أنهم قد يئسوا، إذ قد أبدى الطبيب اليأس من الشفاء) لكن الله يفتح السبيل بعد ذلك بالدعاء. إن معرفة الله والتوكل عليه هو أن ينشأ الأمل بعد حدود حدّدها الناس، وإلا لمات الإنسان وهو حيّ. من هنا تبدأ معرفة الله".

هذا ما ورد في جريدة الحكم، وقد ورد في جريدة بدر جملة إضافية هي: "إن مذهبي الحقيقي هو أنه لو قنط جميع الأطباء في العالم وأصدروا حكم الموت، يُشفى المريض في هذه الحالة أيضا بعد قبول الدعاء نتيجة سنوح أسباب روحانية ومع التركيز الكافي".

يقول شيخ يعقوب علي عرفاني المحترم -على هامش ذكر مرض حضرة المولوي عبد الكريم السيالكوتي- عن توكل سيدنا المسيح الموعود ﷺ: هذا هو الوقت لاختبار الحب الصادق والإخلاص لأحدهم، وإيمانه القوي بقدرة الله ﷻ وعلاقته به ﷻ لأنه في مثل هذه الحالة الحرجة، حيث يواجه المعالج والدكتور والطبيب عالم اليأس، من المستحيل أن يثبت أحد إلا الذين قد طهرهم الله بيده. وإن ما أبدى حضرته الشيخ في مرض المولوي المحترم من كمال حبه وتضحيته وثقته التامة وتوكله الكامل على الله ﷻ هو إثبات كاف لأهل البصيرة، لكون حضرته من الله وعلاقته الصادقة به وأنه إذا كان أحدهم يريد أن يرى نظير رسول الله ﷺ اليوم في الأمة، فلن يجد أفضل من حضرة مرزا غلام أحمد القادياني ﷺ مهما بحث عنه في العالم

كله.

صحيح أن حضرة المولوي عبد الكريم قد مات لكن حضرة المسيح الموعود عليه السلام ظل يدعو له، وحين جاءه الأجل، رضي برضا الله تعالى. (سيرة المسيح الموعود عليه السلام لحضرة شيخ يعقوب علي عرفاني رحمته الله) يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"إنما التوكل أن تجمعوا قدر المستطاع الأسباب التي حددها الله تعالى لتحقيق أمر معين، ثم تنصرفوا إلى الدعاء أن يُظهر لها نتائج جيدة. فهناك مئات الكوارث وآلاف المصائب التي يمكن أن تدور تلك الأسباب والوسائل أيضًا، فادعوا الله أن يحميكم من ضررها ويوصلكم إلى النجاح الصادق والغاية المتوخاة. الحق أن الناس واقعون في الشبهات فلا يجتنبون الذنوب، ففي كل واحد منهم يبقى شيء من الغفلة، والآن يريد الله أن يفهم الناس. فكما قال في زمن نوح ابنه: سأوي إلى جبل، كذلك يقول هؤلاء الناس أنهم سيأوون من الطاعون إلى المصل، ولكنهم لا يدرون أن الأهم من كل شيء هو الإيمان بوجود الله، ومن دون هذا اليقين لا تنشأ البركات في الأعمال مطلقاً."

لقد قال المسيح الموعود عليه السلام: "لو أن الناس قاموا اليوم على التوحيد لزال هذا البلاء (الطاعون) اليوم. إن الله تعالى يرى أعمال الناس ويرى هل هم قائمون على التوحيد أم لا. هناك أعمال كثيرة تنافي التوكل وتخالف التوحيد، ومهما تفوّه المرء بـ "لا إله إلا الله" إلا أنه يكون كاذباً في قوله هذا، وهذا هو الفسق بعينه. ويعتمد الناس على الأسباب اليوم بما لا يوجد له نظير في الأيام الخالية. صحيح أن الفسق والفجور كان موجوداً في الأزمنة السابقة أيضاً، ولكن كانت في القلوب خشية الله أيضاً."

يروى حضرة سيد زين العابدين ولي الله شاه: أتذكر جيداً أنه كلما ظهر الطاعون في هذه المنطقة أو المدينة كان المسيح الموعود عليه السلام لا يأمر بتنظيف بيته فقط، بل كان يهتم أيضاً بتنظيف مدينة الطلبة أيضاً، كما كان يأمر جميع الأحباب باستخدام شتى الوسائل لقتل الجراثيم كتجمير البيوت بالكبريت والجوجل وتنظيف أرضية البيوت بالفينول. (والجوجل شجرة يخرج منها صمغ زيتي مائل إلى الصفرة يستخدم للتجمير وهو مبيد للجراثيم). وكان عليه السلام يقول: "الأخذ بالأسباب هو أيضاً شكر لنعمة الله تعالى، ومرادف للامتثال لأمره، وإن ترك الأسباب مخالف للشريعة الإلهية. ومقام التوكل يأتي بعد ذلك، أي لا ينبغي الاعتماد على الأسباب بعد اتخاذها، بل المعرفة الحقيقية هي أن يرى المرء يد الله تعالى وراء هذه الأسباب."

(أي يجب أن يستخدم الإنسان كل الوسائل والأسباب، ثم يجب أن يرى يد الله وراءها، أي أن يؤمن بأن الله تعالى هو الذي يعمل وراءها).

قال مرزا بشير أحمد رحمته الله أخبرني الدكتور مير محمد إسماعيل أن المسيح الموعود عليه السلام كان شديد الحرص على النظافة، وكان يوليها اهتماماً بالغاً في أيام الطاعون خاصة، حتى إنه كان بنفسه يمزج الفينيل بالماء في

الإبريق ويصبّه في المراحيض والمجاري. وأقول (أي مرزا بشير أحمد يقول): أحيانا كان المسيح الموعود ﷺ يأمر بجمع كومة كبيرة من الحطب داخل البيت ويوقد فيه النار لقتل الجراثيم الضارة في البيت. وكان قد جلب لذلك موقدًا حديدًا كبيرًا يوضع فيه الفحم والكبريت وتوقد فيه النار داخل غرف البيت وأبوابها مغلقة، مما كان يؤدي إلى ارتفاع الحرارة داخل الغرفة جدا حتى إنها كانت تبقى دافئة جدًا لفترة لا بأس بها حتى فتح الأبواب بعد انطفاء نار الموقد أيضا.

وأضيف وأقول: إن شأن الأنبياء عجيب، فإنهم من ناحية يراعون الأسباب ويهتمون بها بحيث يبدو للناظر وكأنهم يرون القضاء والقدر منوطين بالأسباب وحدها، وأنه لن يتم لهم الأمر من دونها، ومن ناحية أخرى يتوكلون على الله تعالى بحيث ينظرون إلى الأسباب كما لو أنها دودة ميتة. ويندهش صاحب النظرة السطحية برؤية حالتهم هذه، ولكن الواقع أنهم لا يراعون الأسباب باعتبارها مفاتيح القضاء والقدر، وإنما يراعونها لأنهم يؤمنون بأن الله هو الذي خلقها، وأن من مقتضى تعظيم الله تعالى، بل من أوامر الله تعالى، أن يتخذ الإنسان الأسباب التي خلقها سبحانه تعالى. ولأن الأنبياء يتبوأون أسمى مقام في طاعة أحكام الله تعالى، فتراهم يتبوأون مقامًا أعلى من الآخرين في مراعاة الأسباب أيضا، إلا أن اعتمادهم الأساسي وتوكلهم الحقيقي لا يكون إلا على الله تعالى.

وهذا هو مقام التوحيد الذي يُبعث الأنبياء لإيصال الناس إليه. والتدبر يكشف أن هذا المقام ليس سهل المنال، وإنما يتطلب مجاهدة متواصلة مستمرة وإيمانا راسخا جدا.

عند اتخاذ الأسباب ينسى الناس عادة أن ما فيها من قوة وتأثير إنما أودعها الله فيها، وأن الأسباب في حد ذاتها لا تعدو دودة ميتة. وهذا الضعف يوجد، إلى حد ما، حتى في أولئك الذين يدعون أنهم لا يؤمنون بالله إيمانا تقليديا فقط، بل يؤمنون به في الواقع بالبصيرة القلبية. (يقول حضرته: إنهم يقولون هذا بأفواههم، ولكن إيمانهم يكون مصابا بهذا الضعف في الحقيقة)، إذا فكر كل إنسان وفحص قلبه سيعرف ما إذا كان إيمانه حقيقيا أم به هذا الضعف، وما إذا كان يعتمد على الأسباب عند الشدائد أم يتوكل على الله تعالى توكلا كاملا، لأن اتخاذ الأسباب ليس إلا السعي الظاهر امتثالاً لأمر الله تعالى. فعلى المؤمن أن يفحص نفسه بهذا الشأن دوما.

ويتابع حضرة مرزا بشير أحمد ويقول: وعموما كل مؤمن يدعي أن قلبه عامر بمثل هذا الإيمان، ولكن قليل هم الذين تكون قلوبهم منورة بهذا الإيمان الحي في الحقيقة. الواقع في معظم الحالات هو أن بعضهم يتركون الأسباب كلية موقنين بأن المقدّر واقع لا محالة، وهكذا ييؤون بسخط الله لإساءتهم للأسباب التي خلقها الله تعالى، وبالتالي يتضررون، وبعضهم يتهافتون على الأسباب كما لو أن الله ليس بشيء، وأنه لن يحدث شيء إلا بالأسباب. والحق أن كلا الفريقين بعيد عن جادة الصواب ومحجوب في حجاب الظلمات، وليس على الحق إلا الذي يتأسى بسنة الأنبياء، فيراعي الأسباب مراعاة كاملة، إلا أن قلبه يكون مفعما

بالإيمان الحي بأن وراء هذه الأسباب قوة أخرى بإشارتها يُدار هذا النظام كله، وبدونها تكون هذه الأسباب كلها ميتة وبلا تأثير تماماً. ولكن هذا المقام من الإيمان لا يُنال إلا بعد مجاهدة كبيرة، كما أن الثبات عليه أيضاً يتطلب مجاهدة مستمرة في كل حين.

إن لعباد الله المقربين لشأننا عجيباً في توكلهم على الله تعالى، فإنهم من ناحية، يأخذون بالأسباب بحيث يظنُّ الشخص المادي أنهم يعتمدون على الأسباب فحسب، ولكنهم في أحيانٍ أخرى يتركون الأسباب كأنما لا حاجةَ إليها مطلقاً. ونرى هذا الشأن من التوكل أيضاً في سيرة سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام . يروي سيدنا المصلح الموعود ﷺ قائلاً: قبل وفاته بسنتين أو ثلاث أصيب المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام بسعال شديد، وكان عمري عندها حوالي ١٧ عاماً، وعُهِدْتُ إليّ خدمة إعطائه الدواء وغيره. ومن الطبيعي أنّ الذي تُفَوَّض إليه مهمة ما فإنه يرى أن من حقّه التدخل في أمور أخرى أيضاً، فكنت أرى من حق تمرّضي له أن أتدخل في طعامه وشرابه إلى حد ما، فكنت أقول له بعض الأشياء على سبيل المشورة كأن يأكل هذا ولا يأكل ذلك. (يقول حضرته كانت خدمتي منحصرة في أن أسقيه الدواء، ولكنني كنت أتدخل في شؤونه الأخرى وكنت أقول له هذا الأمر يزيد المرض وهذا ينقصه). وكانت وصفات طيبة لحضرة الخليفة الأول أيضاً تركب لحضرته ﷺ فيستخدمها إلى جانب الأدوية الإنجليزية، إلا أن السعال كان يزداد ويتفاقم.

وكان ذلك في عام ١٩٠٧. فلما قرأ عبد الحكيم المرتد عن إصابة حضرته بالسعال الشديد كتب بأن المرزا سيموت بمرض السل. (أي سُنْصَاب رِئَتَاه بالقروح، ويُبتلى بمرض السلّ، وفيه سيموت). يقول حضرة المصلح الموعود: ولهذا السبب كنا نهتم بالأمر أكثر حتى لا يجد هذا الشخص أيّ سببٍ لفرحته المزعومة بصورة خاطئة. (ولهذا كنت أركز على اتخاذ الحيلة والحذر للغاية) باختصار، كان حضرته يعاني من سعال شديد جداً، وكان يتعرض أحياناً لنوبة شديدة منه لدرجة يبدو وكأن تنفسه سيتوقف. وفي هذه الأيام جاء زائر من خارج قاديان (أي جاء هذا الزائر لما كان حضرته يعاني هذه الحالة) يقول المصلح الموعود ﷺ: وجاء شخص من الخارج أمامي ببعض الفواكه هديةً. (كانت هناك عادة أن الزائرين يحضرون الفواكه للمريض. يقول ﷺ: قدّمتُ هذه الفواكه لحضرته، فنظر إليها ثم قال: قل لهذا الأخ، جزاك الله خيراً، ثم تناول حبةً منها ولعلها كانت موزةً.

وبما أنني كنتُ أعطيه ﷺ الدواء وغيره، لذلك سألني حضرته على الأغلب ليعلمني: "كيف تكون هذه الفاكهة في السعال؟". قلتُ: إنها ليست جيدة في السعال. ابتسم حضرته (لم يرد عليه بالقول، وابتسم فقط) وبدأ بتقشيرها وأكلها. فقلتُ: السعالُ شديدٌ وتناول هذه الفاكهة ليس جيداً في السعال. ابتسم حضرته، إلا أنه ظل يأكلها. أصررت لجهلي على ألا يأكلها. إلا أنه ابتسم مرة أخرى ثم قال: "لقد تلقيت وحيًا الآن يقول: زال السعال". فقد تلاشى السعال على الفور في حين لم يتناول حضرته أيّ دواء، ولم

يلتزم بالحمية، بل خالفها، ومع ذلك زال السعال، وإلا فإن حضرته كان خاضعاً للعلاج لمدة شهر قبل ذلك دون أن يزول هذا السعال. فكان هذا تصرفاً إلهياً. بشكل عام تزداد الأمراض بعدم الالتزام بالحمية، وبالعلاج يستعيد المرء الصحة، ولكن الله يتدخل في هذه الأمور عندما يشاء، ولأجل ذلك علّم الله تعالى الإنسان استخدام سلاح الدعاء، فإن ذهب المرء في حضرة الله تعالى وقال له بأنني لا أريد الحرية، لأنني لم أعد أستطيع تحمّل أوضاعي، فأرجوك أن تتدخل في أموري. ثم إذا رأى الله تعالى بأنه صار عبداً متوكلاً، ويريدني فعلاً أن أتدخل في أموره، فإنه يتدخل ويرى نموذجاً من قدرته حين يتوكل العبد عليه كلياً. وسأتناول هذا الموضوع بمزيد من التفصيل في المستقبل إن شاء الله. أما الآن فأودّ أن أذكر بعض الراحلين الذين سألني عليهم صلاة الجنازة بعد الصلاة.

أول من أذكره هو السيد محمد عطاء الرحمن من "بَرْت بُور" في ولاية بنغال الغربية بالهند، وقد توفي في الأيام الماضية عن عمر ناهز ستة وسبعين عاماً. إنا لله وإنا إليه راجعون. وكان المرحوم بفضل الله تعالى من المنضمين إلى نظام الوصية. وقد خلف زوجته وابنة وثلاثة أبناء. ومن أبنائه السيد حفيظ الرحمن، وهو الداعية الأحدي في البوسنة، ومنهم أيضاً السيد شاه نور الرحمن، وهو الداعية المحلي في الهند. كما أن أحد أصهاره داعية للجماعة كذلك، وهو السيد صابر علي. فهذه أسرة من الواقفين لحياتهم، إن صح التعبير. ولم يتمكن ابنه الداعية حفيظ الرحمن، من المشاركة في صلاة جنازة والده ودفنه لكونه في ميدان العمل والخدمة.

كتب أن الأحمدية جاءت في أسرته في عهد خلافة الخليفة الأول للمسيح الموعود عليه السلام، حين بايع جدّه السيد معوّذ قاصد وانضم إلى الجماعة الأحمدية. وكان شخصية ذات نفوذ ومكانة في منطقته، لكنه بعد قبوله الأحمدية ضحّى من أجل الدين بمكانته الاجتماعية وبالعلاقات القديمة؛ فقد كان تحت إدارته مسجد جامع، فسلمّه إلى غير الأحمديين، وبنى مسجداً آخر مستقلاً، وهو أول مسجد أحدي في ولاية بنغال الغربية، ويُعرف باسم "بيت الأول". وقد واجهت أسرته معارضة بعد قبول الأحمدية. ويروي المرحوم نفسه، وهو والد السيد حفيظ الرحمن، الذي توفي، أن المعارضة بلغت حدّاً مُنع الناس في المنطقة المحيطة من بيع الأشياء اللازمة للحياة اليومية لأسرتنا. وكتب أن المعارضة اشتدت حتى مُنع الناس من البيع والشراء معنا، وكان الأحمديون يُؤدّون بوسائل شتى. فكانوا مضطرين، لتحصيل الحاجيات الضرورية، إلى قطع مسافة تقارب أربعين أو خمسين كيلومتراً في النهر بالقارب، ومن هناك يجلبون ما يحتاجون إليه. ومع هذه الابتلاءات الشديدة ثبّت الله تعالى أسرتنا على الإيمان.

وكان منتمياً إلى حزب سياسي، ثم خطر بباله أن يترك الأنشطة الدنيوية، فجاء إلى قاديان لخدمة الدين، حيث تلقّى التعليم والتربية بضع سنوات، ووُفّق للخدمة في المسجد المبارك عدة أشهر. وأثناء خدمته في دار المسيح والمسجد المبارك رأى بعض الرؤى المباركة. ومنذ تلك الأيام في قاديان أصبح عشقه العميق

للقرآن الكريم، والخشوع والخضوع في العبادة، والمواظبة على صلاة التهجد، وعادة الدعاء، جزءًا دائمًا من حياته، وظل عليها حتى آخر لحظة. وكان ينجز كل عمل للجماعة بالتوكل والدعاء وبمنتهى العزيمة، ولا يعبأ بالسفر ولا بالطقس ولا بالمشاق الأخرى. وقد منحه الله تعالى بركة استثنائية في تبليغ الأحمدية، فتأسست بجهوده فروع عديدة للجماعة، ووقفَ كثيرٌ من الشباب حياتهم. وكان أحيانًا يتكفل من ماله الخاص بثمان التذاكر، ويراعي كذلك احتياجات أسرهم. وكثير ممن تربوا على يده يخدمون الجماعة اليوم أيضًا.

وفي جولاته التبليغية كان يوفّر ما تعطيه إياه الجماعة من نفقات المعيشة أو السفر، بتقليل مصاريفه الشخصية، وينفقه على الفقراء من الذين يُشرهم بالأحمدية أو على الأسر حديثة الانضمام إلى الأحمدية. وحين كانت أسفاره البعيدة تقتضي منه قضاء عدة ليالٍ خارج بيته، كان يفضل أحيانًا أن يبيت على المقاعد في المحطة أو في موقف الحافلات بدلًا من النزول في نُزل أو فندق، توفيرًا للمال، ثم ينفق المبلغ الذي يوفّره على المحتاجين.

كتب الخليفة الرابع رحمه الله تعالى في إحدى رسائله، مشيرًا إلى خدماته التبليغية: "إنك، ما شاء الله، منهمك في هذا العمل الصالح بكثير من الحماس والاهتمام والحكمة وحسن الأسلوب، وتضيف فصولًا ذهبية إلى تاريخ الدعوة إلى الله في الجماعة الأحمدية."

وكان المرحوم شديد التوقير للجماعة وللمسيح الموعود عليه السلام. ففي إحدى جولاته التبليغية جرى حديث مع رجل، وتبيّن أثناء التعارف أن لجدّ المرحوم فضلًا خاصًا على أسرة ذلك الرجل. فدعاه الرجل إلى بيته وأعدّ له وليمة فاخرة، وظل الحديث يدور حول العلاقات الأسرية القديمة والمنز السابقة. ويروي أنه لم يكذ يتناول اللقمة الأولى حتى ذكر المضيف حضرة المسيح الموعود عليه السلام بنبرة ساخرة. عندئذٍ وضع اللقمة جانبًا، ونهض فورًا وغادر المكان دون أن يبالي بأحد.

في عام ١٩٩١م، عندما زار سيدنا الخليفة رحمه الله تعالى قاديان، شارك المرحوم في الجلسة السنوية مع أفراد أسرته، وفي ذلك الوقت قدّم إلى الخليفة الرابع رحمه الله جزءًا من أرضه الموروثة لسدّ حاجات الجماعة، وبُني فيها لاحقًا بيتٌ داعية الجماعة.

يقول الراوي: عندما غادرت بعد لقائي به - وكان الداعية قد جاء إلى هنا من أجل عمله - قال لي، بل كان يقول دائمًا: لقد نذرْتُك في سبيل الله، فلا تقلق بشأننا، بل ركّز على أعمالك والخدمة الموكولة إليك. بعد أن جئت إلى البوسنة، كان كثيرًا ما يتصل بي هاتفياً ويقول: إنني أدعو لك. اعملْ بجد، وحاولْ على الوجه الأمثل لأداء الخدمة التي أوكّلها الله تعالى إليك.

يتابع الراوي قائلاً: لقد وجدت والدي متوكلًا على الله، ومستعدًا دائمًا لتقديم كل نوع من التضحية من أجل مواصلة مهمة المسيح الموعود عليه السلام، المحب الصادق لسيدنا رسول الله ﷺ. وكان يحاول أن يطبع كل

أمر من أوامر الخليفة، حاسباً إياه أمراً إلهياً بالمعنى الحقيقي. وقد قضى حياته موثراً الدين على الدنيا بكل معنى الكلمة. كان نقي القلب، حريصاً قدر استطاعته على صلة الرحم والمحافظة على حقوق الأقارب، ومضيافاً، وكان يساعد الأقارب وغيرهم على حد سواء، ويكنّ حباً صادقاً لكل فرد من أفراد الجماعة الأحمدية، وكان إنساناً فطناً وكثير الدعاء. نسأل الله تعالى أن يغفر له ويرحمه.

والذكر التالي هو للمرحومة خديجة صديقة بونتو من إندونيسيا، وقد توفيت أيضاً قبل بضعة أيام عن عمر يناهز إحدى وثمانين سنة. إنا لله وإنا إليه راجعون.

كانت، بفضل الله تعالى مشتركة في نظام الوصية. وقد رزقها الله خمسة أبناء، ثلاثة منهم ذكور وابنتان. وحظيت بفرصة خدمة الجماعة ثلاث مرات بصفتها الرئيسة الوطنية للجنة إماء الله في إندونيسيا. لقد خدمت الجماعة بكل قلبها وروحها منذ صغر سنّها حتى اللحظات الأخيرة من حياتها. وكانت تتمتع بحب عميق للخلافة. وعُرفت بإخلاصها، وأمانتها، وتواضعها ووفائها. ولم يفتر حماسها وشغفها في خدمة الجماعة قط، وقد تربّت في أسرة مفعمة بروح الخدمة، وكان جميع أفراد الأسرة من حُدّام الجماعة. كان والدها المحترم، السيد صدر الدين يحيى بونتو، رجلاً صالحاً وخدموا. وعلى الرغم من أنه كان دبلوماسياً إندونيسياً - وهو عمل دنيوي - ولكنه قدّم الدين دائماً.

كانت المرحومة دائماً في مقدمة الذين يخدمون ضيوف الجماعة. وعندما زار الخليفة الرابع إندونيسيا، حظيت المرحومة بفرصة خدمة حضرته وخدمة أعضاء الوفد المرافق له.

وقد أكدت السيدة شريفة النساء - وهي رئيسة لجنة إماء الله السابقة في إندونيسيا ووُفِّقت لأداء فريضة الحج أيضاً - الكلام السابق نفسه وقالت: كانت المرحومة خديجة صديقة تكنّ حباً عميقاً جداً للخلافة، وتطيع الخليفة طاعة كاملة دائماً، وكانت تكنّ له احتراماً كبيراً.

كانت متواضعة، حسنة الخلق، ودودة، وتعامل الجميع على قدم المساواة. وكانت عندما ترى أفراد الجماعة، ولا سيما عضوات لجنة إماء الله خائضات في الأحاديث، تذكّرن بلطف بالانهماك في الاستغفار. (من المعلوم أن بعض السيدات يبدأن أحياناً بالحديث أثناء الجلسات والاجتماعات، فكانت المرحومة تذهب إليهن وتوجّهن بكل محبة إلى الاستغفار وذكر الله تعالى بدلاً من الخوض في الأحاديث)

وإذا ذكر لها أحدٌ مشكلة يواجهها، حثته فوراً على أن يكتب رسالة إلى خليفة الوقت ويطلب منه الدعاء. عندما كانت رئيسة لجنة إماء الله، أو تشغل أي منصب في لجنة إماء الله، كانت تولي للمشورة أهمية كبيرة، وما كانت تتخذ القرارات بمفردها. وكانت تتيح للأخريات فرصة التعبير عن تجاربهن، وتقول لغيرهن: تعلّمن أنتن أيضاً من تجاربهن.

يقول داعية الجماعة السيد ظفر الله بونتو: كانت المرحومة ابنة عمي، لكنني كنت أحسبها مثل أختي الشقيقة. وكانت لطيفة جداً مع أقاربها، ملتزمة بالنظام والانضباط، وعطوفة جداً. وكانت تبذل قصارى

جهداً للمشاركة ليس فقط في برامج الجماعة، بل في المناسبات العامة ومناسبات الأقارب أيضاً. وقد عاشت حياة اجتماعية جداً. أخبرني أحد الإخوة أنه سأها ذات مرة: لماذا تنادين قريبك، الداعية السيد منصور أحمد بامن، بـ"مولانا"، مع أنه قريبك، وبممكنك أن تناديه بـ"العم" مثلاً أو ما شابهه؟ فأجابته:

لو كانت هذه الفكرة في البال، لكان معنى ذلك أن بعض الناس يحترمون الدعاة لمجرد كونهم دعاة. (لكن المرحومة ما كانت تفكر على هذا النحو) فأنا أناديه "مولانا" أولاً لأن من واجبنا احترام نظام الجماعة، فأنا أناديه بهذا اللقب احتراماً للنظام، وليس نظراً إلى شخصه أو صفاته الخاصة.

وثانياً، أريد أن يتذكر مكانته ومسؤولياته دائماً. فأريد أن أذكره دائماً بمسؤولياته، بحيث لا يفهم مجرد مناداتي له بـ"مولانا" على أنها تعني أننا نقدّره بصفته الشخصية فحسب، بل إننا نحترمه لأن الله تعالى منحه مكانة معينة، ولأن عليه مسؤوليات، ويجب أن يؤدي مسؤولية خدمة الدين التي أسندت إليه من قبل الجماعة، وعليه أن يشعر بهذه المسؤولية.

فكانت تقول: أنا أناديه "مولانا" لأشعره بمسؤوليته.

أقول: هذه كانت طريقتها في التفكير. وقد لاحظتُ أنا أيضاً أنها كانت سيدة مخلصة جداً، وكانت لها علاقة خاصة بالخلافة والجماعة. وقد حضرت الجلسة هنا عدة مرات، وكانت تعبر عن إخلاص عظيم دائماً. نسأل الله تعالى أن يغمرها برحمته.

والذكر التالي هو للمرحوم عبد الجليل من إندونيسيا. وقد توفي أيضاً قبل بضعة أيام عن عمر يناهز ستة وسبعين عاماً. إنا لله وإنا إليه راجعون. وكان، بفضل الله تعالى مشتركاً في نظام الوصية. وقد ترك وراءه ابنين وابنتين. وابنه الأكبر، السيد، دانان أنديانا، يخدم بصفته أمير الجماعة الإقليمي في منطقة جاوا الغربية. ويقول عن المرحوم: كان شغوفاً جداً بتبليغ الدعوة. وقد أسس فرع الجماعة "برناي موليا" في جنوب سومطرة، فكان مؤسس هذه الجماعة.

وقبل تأسيس هذه الجماعة المحلية، كان يؤدي صلاة الجمعة في منزله إلى مدة خمسة عشر عاماً مع زوجته وطفله الصغير. لم تكن جهوده ومهمته لتأسيس جماعة "برناي موليا" سهلة.

وفي إحدى المرات، قدّم مدير مسيحي لمدرسة وقسيس شكوى ضده إلى السلطات. (علماً أن المسيحية منتشرة كثيراً في تلك المنطقة) فألقوا القبض على المرحوم وتجولوا به علناً، ثم سُجن في مركز شرطة كروجون أو ربما في منطقة كروجون، حيث وُضع في زنزانة واحدة مع مجرمين آخرين.

وأثناء فترة سجنه واجه صعوبات في أداء الصلاة، لأن قائد المنطقة العسكري كان مسيحياً وكان يعارضه. وقد بدأت هذه المعارضة بعد حوار ديني جرى بينهما سابقاً حول موضوع وفاة سيدنا عيسى عليه السلام.

غير أن أحد الضباط العسكريين كان متعاطفاً معه، فأعطاه سرّاً بعض الصحف ليفرشها في الزنزانة ويؤدي الصلاة عليها.

وعلى الرغم من مرضه، ظل المرحوم محافظاً على حماسه وشغفه بتبليغ الدعوة. وكان دائماً منشغلاً بخدمة الضيوف، وكان يكنّ احتراماً كبيراً لدعاة الجماعة.

وكان يولي أهمية خاصة لتربية أسرته الأخلاقية والروحية. وما كان يكتفي بذلك فحسب، بل كان مهتما بتربية الآخرين ونصحهم أيضاً.

وظل طوال حياته يُعَدّ شخصية مثالية في مجتمعه، وكان الناس كثيراً ما يرجعون إليه طلباً للمشورة لحل مختلف القضايا والمشاكل. كان المرحوم يخصص يومياً بعض الوقت لقراءة القرآن الكريم ومطالعة كتب المسيح الموعود عليه السلام.

كتب السيد أحمد نور الدين عيسى، وهو أيضاً من المبلغين السابقين، أن المرحوم كان هو الذي أسس الجماعة في برناي موليا. فعندما وصلْتُ إلى برناي موليا، دعا هو وزوجته أقاربهما للاستماع إلى تعاليم الجماعة، فعقدنا آنذاك جلسة تبليغية استمرت حتى منتصف الليل. وفي نهاية المطاف، اعتنق عشرون شخصاً الأحمديّة بفضل جهوده، إذ كان قد مهّد لهم من قبل وقام بينهم ببعض العمل التبليغي الأولي. وكما ذكرت سابقاً، وهب المرحوم أيضاً قطعة أرض للجماعة من أجل بناء مسجد، ثم شُيّد عليها فيما بعد مسجد تبلغ مساحته عشرة أمتار في عشرة أمتار.

وقال السيد عبد الوهاب، وهو أستاذ في الجامعة الأحمديّة بإندونيسيا، إن المرحوم بذل جهوداً كبيرة في تنظيم جماعة برناي موليا. ومن خصاله أيضاً أنه، إلى جانب محافظته على الصلوات الخمس، كان يواظب على صلاة التهجد بانتظام، كما كان منتظماً في أداء التبرعات، ويساعد جيرانه ويخدم الناس.

أما ابنه السيد شمس البحرين، وهو أحد العاملين في قناة MTA بإندونيسيا، فيقول إن المرحوم كان نموذجاً استثنائياً في التضحية من أجل الجماعة، سواء بالتضحيات المالية أم بالخدمة الشخصية. وقد ذكر ذات مرة أنه عندما ذهب إلى سومطرة للمرة الأولى، لم يكن في تلك المنطقة أي فرد آخر من أفراد الجماعة، وكانت وسائل المواصلات والاتصال محدودة؛ لذلك كان يضع تبرعاته جانباً في صندوق مخصص لذلك، ثم يؤديها مرة واحدة في السنة عندما يأتي إلى المركز لحضور الجلسة السنوية.

كذلك يقول السيد نصرون أحمد، وهو مبلغ إقليمي، إنه خلال العامين الأخيرين من حياة المرحوم، حين كان مريضاً جداً وطريح الفراش، كان يستدعيني ويسألني باستمرار عن أحوال الجماعة وتقدمها. وكان دائماً يستحضر الموت ويطلب الدعاء له أيضاً. غفر الله تعالى له ورحمه.
